الصوفية فى الطريق

بقلم رئيس التحرير

كان التصوف بالنسبة لنشأة عقيدة الاسلام وانتشارها ، أشبه بالفدائى الذى يقوم بالمغامرات الخارقة فى استطلاع مراكز العدو ، وتحديد الطريق الذى يسير فيه الزحف الكبير .

وفى فترات نمو الإسلام ، كان الاشراق الروحى للعاملين على تقدمه ، يبلغ الأوج ويضيء السبل . وكان الابتكار هو طابع الحياة الروحية وكان الهام التصوف للجماهير عجيبا .

ولقد سار التصوف ، وسار الفقه كل فى طريقه يضيف إلى أمجاد الحقل وآفاق الروح جديداً بعد جديد .

وعندما هاجم دول الاسلام عدوان رهيب من الغرب هو حرب الصليبيين ، وعدوان رهيب آخر من الشرق هو حرب التتار ، صمدت فى المعركة قطعة نابضة من قلب العروبة هى مصر وسوريا . . لم تصمد شهرا ولا عاما ولا عشرة . . إنما صمدت طوال قرنين من الزمان ، فلما أذن الله لها بالنصر النهائى على التتار فى عين جالوت ، وكان ذلك منذ سبعة قرون لا تزيد ، عكفت الأمة الإسلامية على نفسها تضمد جراحها . . وقبل أن تسترد أنفاسها فاجأها غزو داخلى هو قيام الشيعيين واجتياحهم العالم الإسلامى . ولم تكن لهم طاقة روحية ، ولا طاقة عقلية . . ولكن كانت لهم عضلات فقط !

وكان من تأثير هذا الاجهاد أن همدت إلى حين النار المقدسة التى كانت تتأجج بها الصدور وأصيبت الجماعة الإسلامية بركود روحى .

وبعد أن كان من بين المسلمين أسماء تلمع فى علم التصوف ، وأسماء تلمع فى علم الفقه ، أخذ كل فريق يعيش على ما خلفه السلف ، يمد فى شروحه وهوامشه دون تجديد أو ابتكار . وإن كان الصوفيون قد اعتصموا برأيهم فى الكشف والاتصال وعلم الباطن واتخذوه طريقهم إلى الإيمان والعرفان وكذلك صنع الفقهاء إذ عكفوا على تفاسيرهم ونقولهم .

ولكن فرصة التصوف فى فترة «السكون» العثمانى كانت أسخى وأندى على الاسلام .

فقد ساعدت على تمكين الإيمان من نفوس كثيرة . . فلما دق جرس خطر آخر ، أكبر هولا من خطر الصليبيين والتتار . وهو التغلغل الاستعمارى . وجد يقظة فى شعوب الإسلام لمقاومته . وفى مناطق كثيرة ولاسيما فى وسط أفريقية أخذ الاستعمار ثوب التبشير . وهنا ظهرت جدوى التعبئة الروحية . فقد وفق المتصوفة فى أماكن كثيرة ، وردوا غارة التبشير على أعقابها ، ولم يجد المستعمر سندا يتكىء عليه .

فلما كانت الحربان العالميتان ، تأهبت شعوب الاسلام للتخلص من الاستعمار ؛ ودارت معارك كثيرة ، لم يكن التصوف بعيدا عنها ، وربما كان فى صميمها .

واليوم ، وهذه النهضة الشاملة لشعوبنا تطل علينا ، ونعيش فى محيطها ، نجد أعباء التصوف تزداد . . ونرى الوقت قد حان لكى يتابع رجال التصوف خروجهم من حالة « السكون » إلى حالة « الحركة » ، وأن يعرفوا وجه الله ، فى وجه الإنسان خليفته على الأرض ، وأن يبلغوا رسالة الهدى ، حيث يجب أن تبلغ .

وإن ظهور الجمهورية العربية المتحدة بقيادة مؤمنة صادقة العزم ، هى قيادة جمال عبد الناصر ، لتتيح لى حركات تحرير رقابنا من الأسر ، وارواحنا من رواسب الماضى لتضاعف من عزم الصوفية على مزيد من التمسك برسالتها الأولى التى نشأت عليها ، وباركها الله تعالت صفاته ، وتقدست ذاته .

[illegible] الصوفية اليوم [illegible] إلى [illegible] الصفاء ، والكمال .

ومن أعبائها التعرف على أحوال المسلمين حيث يوجدون فى أقصى الأرض وأدناها .

ومن أعبائها الهداية إلى الخير والمحبة وجمع الناس على كلمة الحق .

وهذه المجلة « الإسلام والتصوف » تجد أمامها الطريق إلى العمل طويلا طويلا ، ورسولها يجب أن يعلو ويعلو حتى يربط الصوفى فى بحار الصين بأخيه الصوفى فى بلاد [illegible] الصوفية . وشيخها [illegible] فى هذا البلد [illegible]

[illegible]